هو العليم

حرمة الظلم وإعانة الظالمين

بياناتٌ حول آية: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾

مباني الأخلاق – المجلّس الرابع عشر

محاضرات ألقاها

سماحة العلّامة آية الله الحاجّ السيّد محمّد الحسين الحسينيّ الطهرانيّ

قدس الله سره

طهران، مسجد القائم، رمضان المبارك ١٣٩٨ هـ. ق

@MadrastAlwahy

أعوذ باللّه من الشيطان الرجيم

بسم الله الرَحْمن الرَحيم

وصلّى الله على محمّدٍ وآله الطاهرين

ولعنةُ الله على أعدائهم أجمعين

الحرمة الشديدة للظلم والتعدّي على النّاس

قال تعالى في القرآن المجيد في سورة النبيّ إبراهيم وهي السورة الرابعة عشر من القرآن المجيد، في الآية الثانيّة والأربعين: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾؛[1]

يعني: لا تظن أنَّ اللَه العليّ الأعلى غافلٌ عمّا يفعله الظالمون! فإنَّ اللَه يؤخّرهم إلى يومٍ تشخص فيه أبصارهم ولا يمتلكون فيه القدرة على إغماض جفونهم.

ذكرنا بالأمس أنَّه بالإضافة إلى أنَّ الظلم ذنبٌ عظيمٌ، فإنَّ إعانة الظالم والمعتدي ذنبٌ ومعصيةٌ أيضًا.[2] واليوم سنُبيّن بعض الروايات حول أصل الظلم وبعض الروايات حول إعانة الشخص الظالم ومساعدته. والكتاب الذي سننقل عنه هذه الروايات هو كتاب سفينة البحار للمرحوم المحدّث القمي وهو كتابٌ نفيسٌ وقيّم جدًا:

---

[1] . سورة إبراهيم (١٤)، الآية ٤٢.

[2] . راجع ص ٢٤٠.

يروي المرحوم الصدوق في كتاب الأمالي عن الإمام أمير المؤمنين عليه السّلام أنّه قال:«بِئسَ الزّادُ إلى المَعاد العدوانُ علَى العِباد»[1]

و قال: «مَن خاف القصاصَ، كفَّ عن ظُلمِ النّاس».[2]

أي إنّ أمير المؤمنين عليه السّلام يقول: من يَخاف القصاص وثأر اللَه منه، فليكفّ يده عن ظلم النّاس.

و جاء في الخِصال: «إيّاكم والظّلمَ؛ فإنّ الظّلمَ عندَ اللَه هو ظُلماتٌ يومَ القيامة!»؛[3]

وذلك لأنَّ الظلم عند اللَه هو عبارةٌ عن هذه الظلمات التي تتجسم للإنسان في يوم القيامة!

وقال صلّى اللَه عليه وآله وسلّم: يقولُ اللَهُ عزّ وجلّ: «اشتَدَّ غَضَبي على مَن ظَلَم مَن لايجِد ناصرًا غَيري».[4]

وهذه الرواية موجودةٌ في الأمالي للشيخ الطوسي.

كيفيّة الاستغفار والتوبة عن الظلم

وعن أبي جعفر الباقر عليه‌السّلام، أنَّه قال:

«الظّلم ثلاثةٌ: ظلمٌ يغفِره اللَه، وظلمٌ لايغفره اللَه، و ظلمٌ لايدعه اللَه؛ فأمّا الظّلم الّذي لايغفره اللَهُ عزّ وجلّ فالشِّرك باللَهِ، وأمّا الظّلم الّذي يغفره اللَه عزّ وجلّ فظلم الرَّجل نفسَه فيما بينه و بين اللَه عزّ وجلّ، وأمّا الظّلم الّذي لايدعه اللَه عزّ وجلّ فالمُداينةُ بين العباد».[5]

لقد وردت هذه الرواية في الأمالي للشيخ الصدوق حيث يروي عن الإمام محمّد الباقر عليه السّلام أنّه قال: الظلم على ثلاثة أصناف: ظلم يغفره اللَه تعالى، وظلم لا يغفره ولا يتجاوز

---

[1] . الأمالي، الصدوق، ص ٤٤٦.

[2] . ثواب الأعمال وعقاب الأعمال، الصدوق، ص ٢٧٣؛ الكافي، ج ٢، ص ٣٣١.

[3] . الخصال، ج ١، ص ١٧٦.

[4] . الأمالي، الطوسي، ص ٤٠٥.

[5] . الأمالي، الصدوق، ص ٢٥٣.

عنه، وظلمٌ لا يغفره بأيّ وجهٍ من الوجوه. وأمّا ذلك الظلم الذي لا يغفره الله العلي الأعلى، فهو الشرك بالله، مثلما أوصى لقمان في وصيته لابنه: ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ﴾.[1]

وأمّا الظلم الذي يغفره الله، فهو ظلم الإنسان لنفسه والذي يكون بينه وبين الله؛ وأمّا الظلم الذي لا يدعه الله، فهو ذلك الظلم الذي يحصل بين النّاس في معاشراتهم ومعاملاتهم وحواراتهم، حيث يأتي الأشخاص ويأخذون حقوق الآخرين؛ فإنَّ الله لا يدع هذا الظلم، بل تكون مغفرته مشروطةً بتأدية الظالم حقّ المظلوم.

ويروي المرحوم الصدوق في كتاب ثواب الأعمال عن الإمام الصادق عليه السّلام في تفسير هذه الآية الشريفة: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلۡمِرۡصَادِ﴾؛[2] أنَّه قال: **«قَنطَرَةٌ علَى الصّراطِ لايجوزُها عَبدٌ بِمَظلَمةٍ»**.[3]

فمعنى كون الله بالمرصاد هو أنّه هناك جسرٌ على الصراط (وهو الطريق الذي يجب أن يعبر عنّه النّاس في جهنم) ولا يمكن لأحدٍ أن يعبر هذا الجسر إذا كان في رقبته مظلمةٌ لعبد من عبيد الله، أو ظلمه ولم يؤدّي حقّه.

ويروي المرحوم الكليني في كتاب الكافي عن الإمام الصادق عليه السّلام: **«مَن أصبحَ لاينوي ظُلمَ أحَدٍ، غَفَرَ اللهُ لَهُ ما أذنَبَ ذلِكَ اليومَ ما لم‌يسفِك دمًا أو يأكُل مالَ يتيمٍ حَرامًا»**[4].

ويروي أيضًا المرحوم الكليني في الكافي عن رجل مسن من بني النَخْع أنَّه يقول:

«قلتُ للإمام أبي جعفر محمّد الباقر عليه السّلام: إنّي لم‌أزَل واليًا مُنذُ زَمَنِ الحَجّاجِ إلى يومي هذا؛ فَهَل لي مِن تَوبةٍ؟».

«قال: فسَكَت، ثمّ أعَدتُ عليه، فقال: **"لا، حتّى‌تؤدّي إلى كلِّ ذي‌حقٍّ حقَّه!"**»[5].

---

[1]. سورة لقمان (٣١)، الآية ١٣.

[2]. سورة الفجر(٨٩)، الآية ١٤.

[3]. ثواب الأعمال، ص ٢٧٢؛ الكافي، ج ٢، ص ٣٣١.

[4]. الكافي، ج ٢، ص ٣٣٢.

[5]. المصدر نفسه، ص ٣٣١.

وفي رواية أخرى مرويةٍ عن الإمام الصادق عليه السلام في الكافي:

«قالَ: إنّ اللهَ عزّ وجلّ أوحَى إلى نَبيّ مِن أنبيائِهِ في مَملكةِ جبّارٍ مِنَ الجبّارينَ: "أنِائتِ هَذا الجبّارَ فَقُل لَهُ: إنّني لَمأستَعمِلك على سَفك الدِّماءِ واتّخاذِ الأموالِ، وإنّما استَعمَلتك لِتكُفَّ عنّي أصواتَ المظلومينَ؛ فإنّي لَمأدَع ظُلامَتَهُم وَإن كانوا كفّارًا!"»[1].

يروي المرحوم ابن فهد الحلي في كتاب عدّة الدّاعيّ: «عن النبيّ صلّى اللهَ عليه وآله وسلّم، قال: "أوحَى اللهُ تَعالى إلَيَّ أن: يا أخاالمُرسَلينَ، يا أخاالمُنذِرينَ [المقصود الأنبياء]، أنذِرْ قَومَك لايدخُلوا بَيتًا مِن بُيوتي ولأحَدٍ مِن عِبادي عندَ أحَدِهِم مَظلِمة؛ فإنّي ألعَنُهُ مادامَ قائمًا يصَلّي بَينَ يدَيَّ حتّى يرُدَّ تِلك المَظلِمة، [فحينها أفتح سبيل الصلح بيني وبينه بقدر] فأكونُ سَمعَهُ الّذي يسمَعُ به [و أكونُ بَصَرَهُ الّذي يبصُرُ بِهِ]!" [ويده التي يقبضها ويبسطها]»[2] و[3].

حرمة إعانة الظالم

إنَّ هذه الروايات تتعلق بأصل الظلم؛ وسنقرأ عدّة روايات متعلقة بإعانة الظالم وهو أمرٌ من المحرمات في حدّ نفسه:

[وفي] النّبويّ: «وعلَى البابِ الرّابعِ مِن أبوابِ النّارِ مكتوبٌ ثلاثُ كلِماتٍ: أذَلَّ اللهُ مَن أهانَ الإسلامَ! أذَلَّ اللهُ مَن أهانَ أهلَ البيتِ! أذَلَّ اللهُ مَن أعانَ الظّالمينَ على ظُلمِهِم لِلمحرومينَ!»[4]

وينقل المرحوم الكشي في كتابه الرجالي روايةً أخرى:

عن صَفوان الجَمّال، قال: دَخلتُ على أبيالحسن الأوّلِ عليه السّلام فَقالَ لي: «يا صَفوانُ، كلُّ شَيءٍ مِنك حَسَنٌ جَميلٌ ماخَلا شَيئًا واحدًا!».

---

[1]. المصدر نفسه، ص ٣٣٣.

[2]. عدّة الدّاعي، ص ١٤١.

[3]. سفينة البحار، ج ٥، ص ٣٧٧ـ٣٨٢.

[4]. المصدر نفسه، ص ٣٨٢.

(وكان صفوان الجمّال رجلًا يمتلك عددًا كبيرًا من الجمال وكان يؤجرها ويستفيد من منافعها)

قلتُ: جُعِلتُ فِداك! أيّ شيءٍ؟

- (ما هو ذلك العمل غير الحسن؟)

قال: «إكراؤُك جِمالَك من هذا الرّجلِ!» يعني: هارونَ.

(أي: إنّك تؤجر جمالك لهارون الرشيد)

قلتُ: واللهِ ما أكرَيتُهُ أشِرًا ولا بَطِرًا ولا لِلصَّيدِ ولا لِلَّهوِ! ولكنّي أكرَيتُهُ لِهذا الطّريقِ (يعني طريقَ مكّة)**؛ ولا أتَوَلّاهُ بِنَفْسي، ولكن أبعَث مَعهُ غِلماني.**

(يعني: أنا لا أؤجّر هذه الجمال للتسلية والتفاخر والمنافع الشهوانيّة أو للصيد واللهو واللعب! ولكنّني أجرّت هذه الجمال من أجل طريق مكة كي تنقل الزوار لأداء مناسك حجّ بيت الله الحرام؛ ومن ناحية أخرى، فإنّي لست متصديًا وأرسل غلماني بهذه الجمال، وهم ينقلونهم ذهابًا وإيابًا)

فقال لي: «يا صفوانُ، أيقَعُ كراؤُك عليهم؟» (يعني: هل تبقى أموال الأجرة لهذه الجمال في عهدتهم إلى أن يُعيدوا الجمال، فيعطونك الأجرة؟)

قلت: نعَم، جُعِلتُ فِداك!

قال: فقال لي: «أتُحِبُّ بقائَهُم حتّى يخرُجَ كراءُك؟» قلتُ: نعَم.

(فقال الإمام: أتحبُّ بقائهم إلى أن يعودوا بالجمال، ثمّ يُسلّموك أجرتها؟)، **قلتُ: نعَم.** (أحبّ أن يبقوا).

قال: «فَمَن أحَبَّ بَقائَهُم فَهوَ منهم، ومَن كان منهم كان وَرَدَ النّار!»

قال صفوانُ: فَذَهَبتُ وبِعتُ جِمالي عن آخرها، فَبَلغَ ذلك إلى هارون، فَدَعاني. فقال لي: «يا صفوانُ، بَلغَني أنّك بِعتَ جِمالَك»، قلتُ: نعَم. فقال: «لِمَ؟» فقُلتُ: أنا شيخٌ وأنّ الغِلمانَ لايفونَ بِالأعمالِ.

فقال: «هيهات، هيهات! إنّي لأعلمُ مَن أشارَ عليك بهذا؛ أشار عليك بهذا موسى بنُ جعفر!»

قلتُ: ما لي ولموسى بنِ جعفر؟

فقال: «دَع هذا عنك! فو اللهِ لولا حسنُ صحبتِك لقَتَلتُك!»[1]

كيفيّة التوبة الحقيقيّة من ذنب إعانة الظالمين

ينقل ابن شهر آشوب رواية أخرى في المناقب عن ابن أبي حمزة الثمالي واسمه عليّ بن أبي حمزة أنّه قال:

كَانَ لِي صَدِيقٌ مِنْ كُتَّابِ بَنِي أُمَيَّةَ (في أيّام شبابه) فَقَالَ لِي: اسْتَأْذِنْ لِي عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَليه السَّلَام (يعني: الإمام جعفر الصادق عليه السلام)، فَاسْتَأْذَنْتُ لَهُ عَلَيْهِ، فَأَذِنَ لَهُ. فَلَمَّا أَنْ دَخَلَ سَلَّمَ وَجَلَسَ.

ثمّ قال: «جُعِلتُ فِداك! إنّي كنتُ في ديوانِ هؤلاءِ القوم (يعني: بني أميّة) فأصَبتُ مِن دنياهم مالًا كثيرًا».

وأغمَضتُ في مطالِبه (يقول راوي الحديث وهو ابن أبو حمزة الثمالي: بالطبع هو كان قد ذكر مطالب سأغمض العين عن تذكرها، ولن أذكرها).

فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلام: «لَوْلَا أَنَّ بَنِي أُمَيَّةَ وَجَدُوا مَنْ يَكْتُبُ لَهُمْ، وَيَجْبِي لَهُمُ الْفَيْءَ، وَيُقَاتِلُ عَنْهُمْ، وَيَشْهَدُ جَمَاعَتَهُمْ، لَمَا سَلَبُونَا حَقَّنَا، وَلَوْ تَرَكَهُمُ النَّاسُ وَمَا فِي أَيْدِيهِمْ مَا وَجَدُوا شَيْئاً إِلَّا مَا وَقَعَ فِي أَيْدِيهِمْ (لبقي بين أيديهم النذر اليسير! ولكن بسبب اهتمام النّاس بأمرهم، سلبونا حقّنا، واستطاعوا أن يظلموا الناس)».

فقال الشاب: «جُعِلت فِداك! فهَل لي مِن مَخرجٍ منه؟»

قال: «إن قلتُ لك، تفعَل؟» قال: «أفعَل!»

---

[1]. رجال الكشّي، ص ٤٤١.

قال: «أخرُج مِن جميعِ ما كتَبتَ في دَوانينهم؛ فَمَن عرَفتَ منهم رَدَدتَ عليه مالَه، ومَن لم‌تَعرِف تصدَّقتَ به! و أنا أضمَنُ لَك علَى اللهِ الجَنّة».

قال: فأطرَقَ الفَتى رأسَهُ طَويلًا؛ ثمّ قال: «قد فَعَلتُ، جُعِلتُ فِداك!»

قال ابنُ أبي حمزةَ: فرَجعَ الفَتى معَنا إلَى الكوفةِ فما تَرَكَ شَيئًا على وجهِ الأرضِ إلّا خَرَجَ منهُ حتّى ثيابَهُ الّتي كانت على بدنِه!

قال: فقَسَمنا لهُ قِسمةً واشتَرَينا لهُ ثيابًا وبَعَثنا إليه بنَفَقةٍ. (قال:) فما أتى عليه إلّا أشهُرٌ قَلائلُ حتّى مَرِضَ فكنّا نَعودُه. (قال:) فدَخَلتُ عليه يومًا وهو في السّوقِ، (قال:) ففَتَحَ عينَيهِ ثمّ قال لي: «يا عليّ، وَفى لي واللهِ صاحبُك!».

قال: ثمّ ماتَ فتَوَلَّينا أمرَهُ، فخَرَجتُ حتّى دَخَلتُ على أبي‌عبد اللهِ عليه السّلام، فلمّا نَظَرَ إليَّ قال: «يا عليّ، وَفَينا واللهِ لِصاحبِك!».

قال: فقُلتُ: صدَقتَ، جُعِلتُ فِداك! هكذا واللهِ قال لي عند مَوتِه![1]

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّد

[1]. مناقب آل أبي طالب عليهم‌السّلام، ج ٤، ص ٢٤٠.